

الأبعاد التداولية للنحو الوظيفي الديدائكتيكي بين الدراسات اللغوية القديمة والحديثة سيبويه و سيمون ديك أنموذجين

The pragmatic dimensions of the didactic functional grammar between ancient and modern linguistic studies Sibawayhi and Simon Djick are two models

د. أسماء حميلي *

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله (الجزائر)

hambli.asma@centre-univ-mila.dz

تاريخ القبول: 2022/11/02

تاريخ الإرسال 2022/05/05

الملخص:

تعرض هذه الدراسة أنموذج النحو الوظيفي الديدائكتيكي بأبعاده التداولية بهدف تبيان الامتدادات المعرفية للمدونة النحوية العربية القديمة وتقديم جانب من أفكار علماءها كسيبويه، وكيف ساعدت النظريات اللسانية الحديثة (الوظيفية خاصة) على تطوير الدرس اللغوي-النحوي في مجال التعليم، حتى يتسنى تطبيق مبادئ وأسس منهاج اللغة العربية بأكثر عملية، وذلك من خلال استقصاء جهود الوظيفيين كسيمون دايك (Simon Djick) الذي توصلت الدراسة أنه جمع المرتكزات النظرية للاتجاه الوظيفي والمنطق الصوري، وأصبح الاتجاه الوظيفي في شكله المتطور يعرف بالنحو الوظيفي، وهذا ما نقله عنه "أحمد المتوكل" وأسهم في تطويره، فكان مشروعه يهدف إلى دراسة اللغة العربية صرفاً وتركيباً ودلالة وتداولاً وفق منهج يُظهر ترابط البنية بالوظيفة.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد-التداولية-النحو-الوظيفي-الديدائكتيكي-سيبويه-سيمون ديك

Abstract :

This study presents the didactic functional grammar model with its pragmatic dimensions in order to show the cognitive extensions of the ancient Arabic grammatical code and present some of the ideas of its scholars as Sibawayhi, and how modern linguistic theories (functional in particular) helped to develop the linguistic-grammatical lesson in the field of education, in order to apply the principles and foundations of the curriculum. The Arabic language in the best conditions, through an investigation of the efforts of two jobs such as: Simon Djick, whose study found that he collected the theoretical foundations of the functional direction and formal logic, and the functional direction in its developed form became known as functional grammar, and this is what Ahmed Al-Mutawakil quoted from him. And he contributed to its development, so his project aimed to study the Arabic language purely, syntax, semantics and circulation according to a method that shows the interrelationship of structure and function.

Keywords: Dimensions- Pragmatic-Grammar-Functional-Didactic-Sibawayhi-Simon Djick

مقدمة:

تعد اللسانيات الوظيفية من البحوث اللسانية التي أسهمت بوضوح في بروز الدرس التداولي، وإنّ الحديث عن التداولية في التراث النحوي العربي ليس تأصيلاً لهذه الدراسات اللغوية الحديثة بقدر ما هو لازم لإظهار البوادر واللبنات الأولى التي شكلت الامتدادات المعرفية النحوية للدرس العربي، وتسليط الضوء على أفكار النحاة الأوائل الذين عرضوها في متونهم وإن كانت لا تحظى بالدرجة نفسها من الأهمية التي تحظى بها الدراسات اللغوية الحديثة. وإن كانت حاجة البحث النحوي اليوم لنظريات الدرس اللساني الغربي ومناهجه، فهذا لا يلغي حاجته للتراث بكلّ ميادينه لأنه يشكل المرجعية والهوية؛ حيث أسهم كل من التراث اللغوي العربي والدراسات المتعلقة به في بعث اللسانيات وجعلها كيانا علميا، مثلما أسهمت الدراسات والنظريات غير العربية في ذلك.

تنصب إشكالية هذه الدراسة في مجموعة من الأسئلة: كيف تأتت بوادر النحو الوظيفي الديداكتيكي الأولى في التراث النحوي التقليدي عامة، و في جهود سيبويه في التركيز على المعنى الوظيفي للتركيب اللغوية، خاصة؟ ما أفضل الطرائق التي اعتمدها سيمون ديك (Simon Djick) في دراسته الوظيفية والتي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من تحقيق كفاءة تواصلية تداولية باعتماد نموذج النحو الوظيفي الديداكتيكي؟ ما الأسس اللسانية والوظيفية المعتمدة في ذلك؟ وهل كان نشوء الحاجة إلى الانفتاح على المناهج اللغوية الحديثة ضرورة معرفية للتكيف مع تطورات العصر الذهنية؟ أم أنه مجرد استجابة تلقائية لدعوى التجديد؟...

وتهدف من خلال الإجابة عن هذه الإشكاليات إلى تحديث آليات التعامل مع مستويات اللغة العربية والاهتمام بها لتساير النظريات اللسانية الحديثة، وذلك بمحاولة إعادة وصف اللغة العربية في مستوياتها الصوتية، الصرفية والتركيبية، ويتجلى ذلك واضحا في اهتمام اللغويين بالمستوى التركيبي وحرصهم على تحقيق الكفايات التواصلية الثلاث: التداولية، النمطية، والنفسية وهذا لا يتحقق إلا بوضع الدرس النحوي في إطاره التعليمي: المعلم، المتعلم، المادة التعليمية...

وقد أسهمت النظريات الحديثة في الدّفع بالدراسات اللغوية العربية الحديثة إلى الأمام فنتجت عنها حركة تجديدية عملت على بيان درجة نصيب الدرس اللساني العربي من التّجديد اللغوي وإبراز مدى تغلغل هذا العلم في ذهنيات اللغويين العرب والكشف عن الخطّوات التي استطاعت من خلالها أن تضمن لنفسها مكانا ضمن النّشاط اللغوي، فكانت بذلك عاملا من عوامل التطوّر فيه.

1- الإطار المصطلحاتي و المفاهيمي للدراسة: إن الخطّوة الأولى لأي نظام معرفي، هي صيانة معارفه في قوالب مصطلحية، لأجل ذلك سنقف عند أهم مصطلحات الدراسة بالتعريف .

1-1 تعريف التداولية (La Pragmatique): أول من وضع لها تعريفا هو "شارلز موريس" (Charles Mouris) يقول فيه: «إنها دراسة علاقة العلامات بمستعملها، وهي حسبته تمثل

إحدى نواحٍ ثلاثة يمكن معالجة اللغة من خلالها: التركيب (La syntaxe) ويُعنى بالعلاقات بين العلامات فيما بينها. الدلالة (La sémantique): وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع. التداولية: وهي تدرس علاقة العلامات بمستعملها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية¹ يمكن القول إنّ التداولية مبحث لساني يدرس الكيفية التي يصدر ويوعي بها الناس فعلا تواصليا أو فعلا كلاميا غالبا ما يأتي في شكل محادثة، ولذلك ارتبط النحو الوظيفي الديداكتيكي بها .

1-2 تعريف النحو الوظيفي الديداكتيكي: علينا تعريف كل مصطلح على حدا من هذا المركب الثلاثي(النحو، الوظيفية و الديداكتيك) كي يتسنى لنا معرفة الداعي إلى تشكيل هذا الأنموذج اللغوي.

النحو: وضح ابن جني(ت392 هـ) معناه في قوله: «إنه انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم رد به إليها»² وقد جعل العلماء للنحو مفهوما حديثا أو بالأخص لعلم النحو فهو«علم البحث في التراكيب، وما يرتبط بها من خواص، كما أنه يتناول العلاقات بين الكلمات في الجملة، وبين الجمل في العبارة»³

الوظيفية (Le Fonctionalisme): نظرية لسانية ظهرت في مقابل البنيوية التي تهتم بالعناصر اللغوية بعيدا عن اهتمامها بوظائفها، وقد تمخضت الوظيفية من نتائج الاتجاهات اللغوية التي اهتمت بالجانب الأنثروبولوجي و السوسيلوجي والتداولي للغة⁴ ومن النظريات التي تأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي في وصف اللغة: الدلالة التوليدية، النظرية الوظيفية لمدرسة هارفارد الأمريكية والمدارس الوظيفية الأوروبية التي منها النسقية، والنحو الوظيفي لسيمون ديك (Simon Djick)

وقد فسر الدكتور "عبد الرحمان الحاج صالح" الوظيفة بالعمل أو الدور المؤدي (التبليغ) والوظيفة عنده نسبة إلى هذا حيث يقول عن مدرسة براغ: «أخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي مع العمل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ، ولهذا سميت التزعات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسي) بالوظيفية»⁵

يمكن القول عموما إنّ الوظيفة هي الدور الذي تؤديه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التواصل

النحو الوظيفي (La grammaire fonctionnelle): يعتمد على المبادئ الإجرائية التالية:⁶

- أ - وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي وظيفة التواصل.
 - ب- تحدد وظيفة اللغات الطبيعية جزئيا على الأقل الخصائص البنيوية لهذه اللغات.
 - ج- موضوع الدراسة اللسانية وصف القدرة التواصلية التبليغية للمتكلم -المستمع.
 - د- يجب أن يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيق كفايات ثلاث: الكفاية التداولية/ النمطية/ النفسية.
- يفهم من ذلك أنّ النحو الوظيفي يسعى أن يكون نظرية لغوية لوصف اللغات الطبيعية من وجهة نظر وظيفية تحقق أهدافا تواصلية، كما أنّ الثنائية(قدرة/إنجاز) حسب المنظور الوظيفي هي قدرة

تواصلية تجمع المعرفتين التداولية واللغوية (تركيبية ودلالية وصوتية) ، كما أن تحقيق الكفاية النفسية يجب أن يكون مطابقاً لنماذج الإنتاج والفهم. ويجدر التمييز بين فكرتين أساسيتين هما أنّ النحو له بعد تعليمي انطلاقاً من تأسيسه وبنائه الاستيمولوجي، والنحو الوظيفي أو التعليمي يشير إلى مجموع القواعد النحوية التي يحتاجها المتعلم فعلاً وتلبي متطلباته التعليمية ويلبي حاجاته في المواقف التواصلية والخطابية شفاهياً وكتابياً. الديداكتيك (La Didactique): يمكن تعريفها حسب REUCHLIN كمجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة⁷، وأنا أفضل استعمال المصطلح اللاتيني المعرب (ديداكتيك) لأنه يحيلنا على النظرة العلمية الأولى للعملية التعليمية، والتي كانت جذورها أجنبية يونانية Ditaktikos

وبما أنّ ديداكتيكا اللغة تحصر الفعل اللغوي في مستوى لغوي أصغر، فقد اقتضت الضرورة التواصلية في العملية التعليمية إلى الانتقال من مجرد الاهتمام بوصف النظام اللغوي إلى الاهتمام بالوظيفتين الداخلية والخارجية له، ما يقتضي التركيز على العوامل السيكلوجية، السوسولوجية والثقافية، وهذا ما سيتمّ تحرّيه عند كلّ من سيبويه وسيمون ديك، من خلال ما استكشفه الدراسة من البوادر الأولى للتداولية في النحو العربي الذي لا بدّ وأن كان وظيفياً وإن لم تكن نظريته علمية بما عليه الآن.

2- الأبعاد التداولية للنحو الوظيفي الديداكتيكي عند كل من سيبويه و سيمون ديك:

1-2 المنحى التداولي للنحو الوظيفي عند سيبويه: بين النظرية التداولية والدرس النحوي التراثي نقاط تقاطع وتماسٍ كثيرة وذلك في عدة مباحث؛ منها ما كان ماثوفاً في النحو، ومنها ما انضوى تحت مباحث البلاغة وعلوم التفسير، فعلى الرغم من أن المنهج التداولي تنظير حديث لم يُعرف كعلم مستقل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين إلا أنه في الواقع له إرهابات نجدها بين ثنايا كتب التراث.

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه يقول "سويرتي: «إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماً ورؤية واتجاهاً أمريكياً وأوروبياً، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر و العلاقات المتنوعة»⁸

ويمكن أن نسوق تأييداً لذلك ما وضّحه الدكتور "إدريس مقبول" في كتابه "الأسس الاستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه"، وما جاء في كتاب "التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي- لمسعود صحراوي.

إن سيبويه من عباقرة اللغة العربية، فهو أحسن من جسد اللغة العربية بكل مقوماتها التعبيرية ومستوياتها المختلفة، وقد ركز على المعنى الوظيفي الذي تعكسه التراكيب وتأتي لخدمته، «فإذا

عدنا إلى الإعراب عند سيبويه فهو في نحوه مرتبط بالوظائف الدلالية، فالعنصر الوظيفي يأخذ إعرابه بالنظر إلى وظيفته لا إلى موقعه، فالفاعل يكون مرفوعا سواء تقدم أن تأخر نحو: كتب محمدٌ مقالَةً، محمدٌ كتب مقالَةً، كتب مقالَةً محمدٌ⁹ فالفاعل والمبتدأ أو الخبر كلها مرفوعات، لكن لكل واحدة من هذه العناصر مجالها الوظيفي، فالعلاقة بين العامل والحركة (وهي حركة تأثير وتغيير) في المعربات مبدأ طبيعي، فالمعرب متغير في وظيفته، وتتغير بذلك حركته، أما المبني فالأمر يختلف فيه حتى وإن تغيرت الوظيفة، فالحركة ثابتة معه، فالتقسيم الثاني الذي أكد عليه "سيبويه" جاء مطابقا للوظيفة التي أقرت بنوعين من الإعراب، الإعراب الوظيفي والإعراب البنيوي¹⁰ وقد ارتبط "سيبويه" بالوظيفة حيث اختار مصطلحي المسند والمسند إليه، إذ يقول: « هذا باب المسند والمسند إليه، وهما مالا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ المبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، مثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء»¹¹

وهنا نلاحظ أن سيبويه يقعد للغة العربية، فالإسناد لا يستقيم بعنصر واحد، لأن العلاقة الإسنادية علاقة ثنائية تعكس عملية الاتصال القائمة بين طرفين طرف عالم/ متكلم، وطرف جاهل/ سامع، لذا كان المسند في النحو العربي والوظيفي عنصرا مركزيا، أو حجر الزاوية في عملية التخاطب وعليه يتأسس الاتصال فهو يحمل معلومة جديدة.

كما تحدث سيبويه عن السياق الإبلاغي للكلام وأسماء بالخلف، فالجملة عنده خاضعة وظيفيا لما يقتضيه الحال، فيحقق بذلك فصاحة الكلام، والجملة الصحيحة نحويا هي الجملة الفصيحة في علم المعاني «فمطابقة الجملة لخلفتها الوظيفية تحقق فصاحتها، وتحقق بذلك صحتها النحوية الوظيفية»¹²

فمن أهم عوامل تحديد المعنى الوظيفي هو السياق الإبلاغي للكلام، وهنا تلتقي نظرة "سيبويه" للسياق والمقام مع أحدث النظريات اللغوية، ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخاطب، والسياق الخارجي للكلام، فيمكن تعويض التراكيب والألفاظ عند سيبويه بالسياق والموقف الاستعمالي «وما يلامس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم، وموضع الكلام، وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانبية للتركيب النحوي، ورسم خطوط هادية في تعليم العربية تعلمنا يضع كل تركيب موضعه، ويعرف مقال مقامه»¹³ فقد تناول القواعد تناولا وظيفيا، فهو ينظر في تحليل بنى القواعد إلى حال المخاطب والمخاطب، والظروف المحيطة بالقوم، فهو لم يعزل قواعد الشكل الإعرابي للبنى اللغوية عن وظائفها الاتصالية ومعانيها المقصودة.

ويذكر في الموضوع نفسه ما قدمه "سيبويه" في توضيحه لعلاقة المعنى بالبنية ومدى مطابقة ذلك للواقع، حيث جعل المعنى في باب الاستقامة من الكلام والإحالة وينقسم خمسة أقسام¹⁴:

مستقيم حسن: أتيتك أمس، سأتيك غدا

محال: أتيتك غدا وسأتيك أمس

مستقيم كذب: عملت الجبل، شربت ماء البحر

مستقيم قبيح: قد زيدا رأيت

محال كذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

والواضح أننا أمام نظرية نحوية وظيفية تداولية، قوم على تفسير دور المتكلم، ومقاصد السامع ودوره في فهم المعنى وتأويله، ونوع السياق الذي تتم فيه عملية التخاطب. نلاحظ المتكلم في المثال الأول مطلع بقوانين النحو وأصناف الألفاظ التي تلائم المعاني المسبوقة لها، أما الثاني فقائلها لا صلة له بالواقع اللغوي، وكذا بالمثال الخامس، الواقع فيه تناقض بالأمثلة، فالحدث المرغوب في تحقيقه وقع في زمن مضى، وسيقع في المستقبل، وهذا ما لا تقبله اللغة ولا الواقع.

فالتنافر حاصل بين اسم الزمان "أمس" و "سوف" هذا ما أدى إلى تشتيت المعنى وتفكيك التركيب.

أما المثالان الثالث والرابع قد تحققت فيهما الضوابط النحوية، غير أن المعنى لا يتطابق، لاستحالة جمل الجبل، وتسرب ماء البحر، فالمعيار الحاكم هنا هو الصدق والكذب. أما في الجملة الرابعة فقد حدث سوء ترتيب لعناصر التركيب، فلو قلنا رأيت زيدا بحذف (قد) لاستقام التركيب وثبت المعنى.

فالمفسر الدلالي يفرض الجملة الثانية والثالثة والخامسة، أما الجملة الرابعة، فالدلالة محفوظة فيه إذا استقام التركيب بإسقاط الأداة (قد) إذن فالربط بين التركيب والدلالة من وجهة نظرا الوظيفيين، مع التحديدات السياقية تنتج التركيب الأساسي المقبول نحويا ودلاليا¹⁵ من خلال هذا نجد أن "سيبويه" يبين أن العرب كانت تبني كلامها بناء تمليه مقاصد الكلام، فأشكال الرتب عنده تتوقف على دلالتها الوظيفية.

كما أن "سيبويه" في "الكتاب" يذكر العديد من الكلمات قوية الصلة بالمجال التداولي، ويكررها بكثرة ومن مثل ذلك: متكلم، نية، نوى، التباس، استعمال، مستعمل... وهي كلها مصطلحات تستلزم وجود طرفي التواصل (باث ومستقبل) إضافة إلى السياق في العملية التعليمية خاصة، وهذا ما يدل على أنه كان يقصد بذلك اللغة في أثناء استعمالها، وهي اللغة التي بنى عليها قواعده التعليمية واستنباطاته اللغوية التي لا تزال إلى يومنا تشكّل إحدى المواد التعليمية الأساس التي لا غنى لها في تعليمية قواعد النحو العربي. وقد كان يبين الطرائق التي يسلكها المخاطب ليصل إلى مقاصد المتكلم، وهذا في معرض حديثه عن حالات الحذف، أو الجمل التي لها أكثر من تأويل، غير معناها الحرفي، والتي كثيرا ما تكون استشهادات تمثيلية في النشاط الديدانكتيكي، يقول "سيبويه" لقول القائل مررت برجل حمار؛ إذ يرى «أنه على وجه محال وعلى وجه حسن؛ فأما المحال فأني تعني أن الرجل حمار، وأما الذي يحسن فهو أن تقول مررت برجل ثم تبديل الحمار مكان الرجل فقول (حمار) إما أن تكون غلطت، أو نسيت فاستدركت، وإما أن يبدو لك أن تضرب عن مرورك بالرجل وتجعل مكانه مرورك بالحمار، بعدما كنت أردت غير ذلك»¹⁶ وهو ما يحمله على الكلام من

خطاً أو نسيان أو إضراب، ولا يتبين ذلك إلا في الكلام الجاري على الشفاهة بالتداول، وقد يحمله على الإحالة وذلك إذا لم يقصد المتكلم المعنى المجازي للكلام (الرجل غبي)

2-2 المنحى التداولي للنحو الوظيفي الديداكتيكي عند سيمون ديك:

ظهرت نظرية النحو الوظيفي مع "سيمون ديك" سنة 1978، حيث أرسى أسس النحو الذي يقترحه وقدم الخطاطة العامة لتنظيم مكوناته¹⁷

وبنية النحو كما تقترحها "نظرية النحو الوظيفي" تشمل مستويات تمثيلية ثلاثة:¹⁸

- مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية: الوظيفة المنفذ، ووظيفة المتقبل، ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد.

- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية: كوظيفة الفاعل والمفعول.

مستوى لتمثيل الوظائف التداولية، كوظيفة المبتدأ أو وظيفة المحور.

وتنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في وظائف خمسة وتقسم بالنظر إلى وضعها بالنسبة للحمل قسمين:¹⁹

1الوظيفتان الداخليتان:

1-الوظيفة المحور: المحور هو الذات التي تشكل محط خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب، نحو متى رجع زيد؟ رجع زيد البارحة، يشكل زيد محور الجملتين، وهو محط الحديث فيهما ويؤدي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخاطبي القائم بين المتكلم في طبقة مقامية معينة.

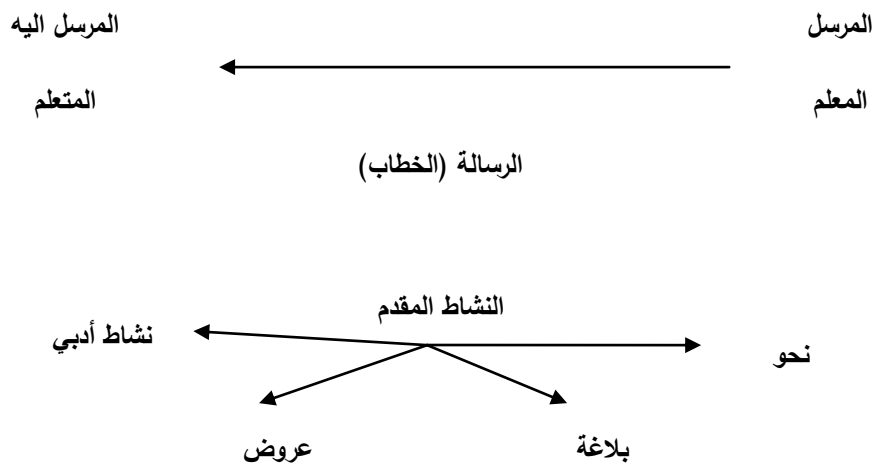
2-الوظيفة البؤرة: تستند الوظيفة البؤرة إلى العنصر من الجملة الدال على المعلومة التي يفترض المتكلم أنها المعلومة غير المشتركة. وهنا يميز المتوكل بين نمطين من البؤر (بؤرة الجديد) و(بؤرة المقابلة) على أساس أن الوظيفة الأولى تستند إلى العنصر الحامل لمعلومة يجهلها المتكلم (في حالة الاستخبار) أو المخاطب (في حالة الإخبار) مثل: ماذا شريت بعد الأكل؟ (شربت) كأس شاي. وأن الوظيفة الثانية تستند إلى العنصر الدال على معلومة تقابل بشكل من الأشكال معلومة يملكها المخاطب. ويجدر كذلك تقسيم بؤرة الجديد إلى بؤرتين اثنتين (بؤرة طلب) و (بؤرة تميم) تستند الأولى إلى المكون الحامل للمعلومة التي يطلب المتكلم من المخاطب أن يمده بها في حين الثانية تستند إلى المكون الدال على المعلومة المقصود بها إعداد معلومات المخاطب.²⁰

2 الوظائف الخارجية:

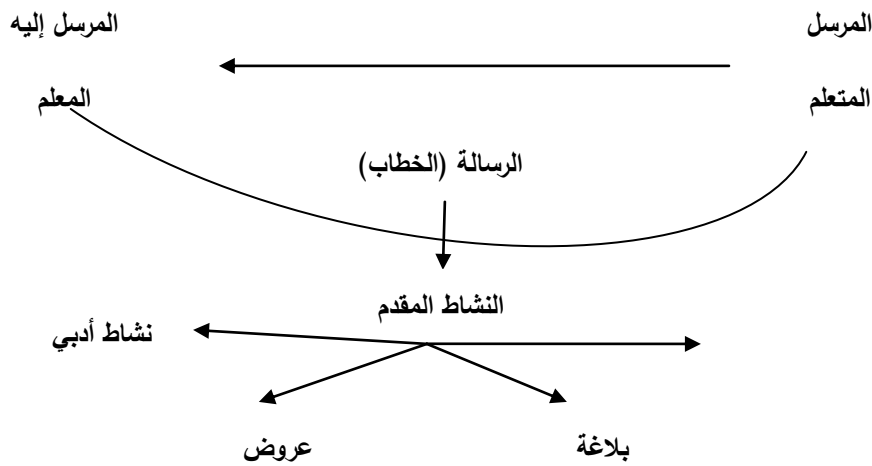
1- الوظيفة المبتدأ: «وهوما يحدد مجال الخطاب الذي الحمل بالنسبة إليه ورا»²¹ نحو زيد أبوه مسافر، ومن خصائصه أن يكون معرفة لدى كل من المتكلم والمخاطب، وأن يرتبط بالمقام.

- 2- الوظيفة الذيل: «المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل»²² مثل: زيد أخوه مريض لا مسافر، زارني محمد بل علي
- 3- الوظيفة المنادى: هو المكون الذي يشكل محور النداء في الجملة مثل: يا زيد قرأت مذكراتك» فهذه البنى المتضافرة تشكل البنية التداولية التي تحكمها طبيعة التواصل، وشروط الأداء، ثم البنية المكونية وتحددها العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية وأخيرا البنية الدلالية التي يحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقاً ومقاماً، وهي التي تحقق التواصل²³ «
- نلاحظ مما سبق أنّ "سيمون ديك" قد صنف المعلومات التداولية إلى المعلومات العامة المرتبطة بالعالم، والمعلومات الموقفية المرتبطة بما يتضمن الموقف الذي يتم فيه التواصل، كما صنف المعلومات السياقية المستقاة من الخطاب المتبادل سلفاً بين أفراد الاتصال.
- ونجد "مسعود صحراوي" في هذا الصدد يبيّن مهمة التداولية، حيث يرى أن دراسة استعمال اللغة تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاماً صادراً من متكلم محدد، وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصلية²⁴.

بما أنّ التداولية تختص بدراسة الخطاب وتحليله، والخطاب-عادة-ما يكون طرفاه(ملق ومتلق)و عملية التعلم تقوم على ثنائية(المرسل والمرسل إليه)،(المعلم والمتعلم)، فبالإسقاط يكون المعلم ملقياً، والمتعلم متلقياً، وقد يتبادل الطرفان الأدوار فيصبح المتعلم ملقياً والمعلم متلقياً، فتكون العملية مجسدة مثلما توضحه الخطاطتان التاليتان:



الرسم البياني رقم (01): عناصر الخطاب التواصلية الديدأكتيكي باتجاه معلم-متعلم



الرسم البياني رقم (02): عناصر الخطاب التواصلية الديدانكتيكية باتجاه متعلم-معلم

خاتمة:

في الأخير يمكن القول إنه لا قطيعة معرفية تذكر بين الدرس اللساني الوظيفي والدراسات المتعلقة بالفكر النحوي العربي القديم، ومن هذا المبدأ كانت الدراسة بمثابة إعادة قراءة التراث العربي القديم من خلال جهود العالم الفارسي الفذ "سيبويه" الذي نثبت من خلال دراسته أن الفكر اللغوي العربي القديم كل لا يتجزأ، نحو وصرف وبلاغة، هذه العلوم لم تكن قط منفصلة، بل كانت تشكل أساسا معرفيا واحدا، وهذا الأساس هو أساس وظيفي ولم يكن ذلك صدفة، حيث إن المفكرين اللغويين العرب القدماء درسوا اللغة انطلاقا من نصوص وليس من جمل صورية منفردة، وكانت هذه المقاربة وظيفية في ترابط بنية اللغة معجما وصرفا وتركيبا بوظيفة التواصل.

أهمّ النتائج المتوصل إليها:

- إن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة في أثناء الاستعمال منذ بدايته؛ ومثال ذلك ما ذكره "سيبويه" عن السياق الإبلاغي للكلام وأسماء بالخلف، فالجملة عنده خاضعة وظيفيا لما يقتضيه الحال وهذا ما يلامس موضوع التداولية وهو دراسة اللغة في أثناء الاستعمال حسب ما يقتضيه المقام لأجل التأثير في العالم.

- إن تقسيم سيبويه وآخرين للكلام جاء تقسيما وظيفيا، فأصبح الركن الإسنادي لدى النحاة العرب الأقدمين فيصلا يفرز العناصر اللغوية، هذا يعني أن الجملة وظيفيا لا بد أن تتصف بأمرين: الإسناد التام، والإفادة الكاملة.

- أتضح لنا أن مفهوم اللغويين العرب المحدثين للجملة لا يختلف في كثير من الأحوال عن مفهوم القدماء لها، بل هو امتداد له، فالجملة عندهم من ناحية الدلالة هي أقل كمية من الكلام، ومن ناحية البنية تركيب يتألف من ثلاثة عناصر أساسية هي: المسند، المسند إليه، والإسناد.

-لقد نشأ المنحى الوظيفي بالمغرب بعد نقل نظرية النحو الوظيفي التي صاغها "سيمون ديك" إلى المغرب، وقد أسهم أحمد المتوكل في تطوير هذه النظرية حيث كان السبّاق في نقل اللسانيات من الوصف اللغوي المحض إلى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، فمشروعه يهدف إلى دراسة اللغة العربية صرفاً وتركيباً ودلالة وتداولاً أي ترابط البنية بالوظيفة.

هذه الدراسة ربما قد تكون تمهيدا لدراسات أخرى سنين من خلالها ملامح المنحى الوظيفي عند علماء عرب محدثين آخرين مثل "تمام حسّان" الذي حاول إعطاء مفهوم صحيح للنحو؛ في نظرية تظافر القرائن والتي كانت فكرة محكمة الوضع، متكاملة الجوانب، هزّت الدراسات الأصولية في التحوّز عنيفاً، وفُسّرت بها بعض القراءات التي خرجت عن سنن العربية، واتّسع أفقها المنهجي ليعالج مسائل العلم المتّصلة بوظيفة النحو البحثية وغاياته الأكاديمية وهو جهد بصير يُباين في جوهره جميع ما سبقته من جهود.

الإحالات:

¹ Charaudeau (Patrick) / Maniguenneau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Edition de Seuil , 2002 , p 454.

² ابن جني ، عثمان أبو الفتح ، 2001، الخصائص. ت محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، مصر، المجلد1، ص34.

³ عاشور راتب قاسم ، الحوامدة محمد فؤاد ، 2007، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الجامعة الأردنية، الأردن ، ص104

⁴ ينظر، آيت أوشان علي، 2006، اللسانيات والبيداغوجيا الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، المغرب ، ص38

⁵ الحاج صالح عبد الرحمن ، 1972، مدخل علم اللسان الحديث (3)، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد1، ، ص54

⁶ المتوكل أحمد ، 1986، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب ، ص9

⁷ Reuchlin m. 1974. traité de psychologie. P.U.F.p222

⁸ سويرتي محمد ، يناير/مارس2000، اللغة ودلالاتها، تقرب تداولي للمصطلح البلاغي ،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد28، العدد3، ص30

⁹ عاشور المنصف ، 2002، مظاهر الاختزال والتكرار في النظام النحوي ،مجلة دراسات لسانية، الجزائر، المجلد4، ص21

¹⁰ ينظر، المتوكل أحمد ، 2006، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص98

¹¹ سيبويه، 1996، الكتاب ،تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ص23.

¹² توامة عبد الجبار، 2001، المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، ص282

¹³ الموسى نهاد ، 1980، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار النشر، بيروت ، ص88

¹⁴ ينظر، سيبويه، الكتاب، ج1، ص25.26.

¹⁵ ينظر، الواعر مازن ، 1987، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس ، دمشق، ص68.

¹⁶ سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص439

¹⁷ ينظر، آيت أوشان علي ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، ص49

¹⁸ ينظر المرجع نفسه، ص42

- ¹⁹ المتوكل أحمد، 1985، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص115
- ²⁰ المتوكل أحمد، 1993، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص51، 52.
- ²¹ المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص115
- ²² آيت أوشان علي، اللسانيات والبيداغوجيا، ص63
- ²³ المرجع نفسه، ص64.
- ²⁴ ينظر، صحراوي مسعود، 2005، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ص16.
- المراجع:**
- ابن جني عثمان أبو الفتح، 2001، الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، المجلد1.
- عاشور راتب قاسم، الحوامدة محمد فؤاد، 2007، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الجامعة الأردنية، الأردن .
- آيت أوشان علي، 2006، اللسانيات والبيداغوجيا الأسس المعرفية و الديدانكتيكية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب
- الحاج صالح عبد الرحمن، 1972، مدخل علم اللسان الحديث (3)، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد1.
- المتوكل أحمد، 1986، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب
- المتوكل أحمد، 1985، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
- المتوكل أحمد، 1993، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- المتوكل أحمد، 2006، المنهج الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول و الامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب.
- سويرتي محمد، يناير/مارس 2000، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد28، العدد3 .
- عاشور المنصف، 2002، مظاهر الاختزال والتكرار في النظام النحوي، مجلة دراسات لسانية، الجزائر، المجلد4
- سيبيويه، 1996، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1.
- توامة عبد الجبار، 2001، المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر
- الموسى نهاد، 1980، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار النشر، بيروت
- الواعر، مازن، 1987، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق
- صحراوي، مسعود، 2005، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان.

- Charaudeau (Patrick) / Maniguenneau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Edition de Seuil, 2002
- Reuchlin m. 1974. traité de psychologie. P.U.F